

التوكل

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

التوكل ، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٤ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ١-١٠-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- التوكل ٢- العقيدة الإسلامية أ.العنوان

ديوي : ٢٤٠ ١٤٣٠/٢٠٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



محمد صالح المنجد

التوكل



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فرسالة التوكل تُعد **الثانية** ضمن سلسلة أعمال القلوب التي يسر الله لي إلقاءها في دورة علمية، وشاركني في إعدادها الفريق العلمي في مجموعة زاد، وها هو اليوم يسعى لإخراجها على هيئة مادة منشورة.

والتوكل على الله مقامٌ جليلٌ عظيم الأثر، وهو من أعظم واجبات الإيمان، وأفضل الأعمال والعبادات المقربة إلى الرحمن، وأعلى مقامات توحيد الله سبحانه وتعالى، فإن الأمور كلها لا تحصل إلا بالتوكل على الله عز وجل والاستعانة به.

وسنتطرق في هذا الكتيب لبيان معنى التوكل، وحقيقته، والفرق بينه وبين التواكل، ثم نذكر شيئا من فوائده، والأمور المنافية له، ونختم بذكر ما تيسر من قصص المتوكلين.

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



أهمية الموضوع

قال سعيد بن جبير -رحمه الله-: (التوكل على الله جماع الإيمان)[١].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة.

ومنْزلته أوسع المنازل وأجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل وكثرة حوائج العالمين)[٢].

فالتوكل يتعلق بكل شيء من الواجبات والمستحبات والمباحات، بل قد يتعلق أصحاب المنكرات بالله عَزَّوَجَلَّ ويتوكلون عليه في حصول مرادهم.

وأيضاً فإن حاجات الناس كثيرة، ولابد لهم من التوكل على الله في قضائها.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٠٢).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١١٣).

قال ابن القيم -رحمه الله-: (ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل من مكانه وكان مأموراً بإزالته لأزاله)[١].

فالمسلم لا يرى التوكل على الله في جميع أعماله أمراً مستحباً، بل يراه فريضة دينية.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (والتوكل جامع لمقام التفويض والاستعانة والرضا، لا يتصور وجوده بدونها)[٢].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: (الأصل الجامع الذي تتفرع عنه العبادات هو: التوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه، وهو خلاصة التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء والرضا به رباً وإلهاً والرضا بقضائه، بل ربما أوصل التوكل بالعبد إلى التلذذ بالبلاء وعدّه من النعماء، فسبحان من يتفضل على من يشاء بما يشاء، والله ذو الفضل العظيم)[٣].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٨١).
(٢) مدارج السالكين (١/ ١٣٦).
(٣) تيسير العزيز الحميد (٨٦).

تعريف التوكل

التوكل في اللغة:

يقال: وَكِلَ بالله، وتوكَّل عليه، واتَّكل: استسلم إليه.

وتوكَّل بالأمر: إذا ضمن القيام به.

ووكَّلْتُ أمري إلى فلان: اعتمدت في أمري عليه.

ووكَّل فلانٌ فلاناً: إذا عجز عن القيام بأمر نفسه، أو وثق فيه بأن يقوم بأمره.

ووكَلَ إليه الأمر: سلَّمه[١].

فالتوكل: هو إظهار العجز والاعتماد على الغير.

والتوكل في الاصطلاح:

للعلماء عدة تعريفات للتوكل، منها:

قال ابن رجب -رحمه الله-: (هو صدق اعتماد القلب على

---

(١) لسان العرب (١١/ ٧٣٤).

الله عَزَّ وَجَلَّ، في استجلاب المنافع، ودفع المضار، من أمور الدنيا والآخرة كلها)[١].

وقال الحسن-رحمه الله-: (إنّ توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته)[٢].

قال الزبيدي-رحمه الله-: (التوكل: الثقة بما عند الله، واليأس مما في أيدي الناس)[٣].

وقال ابن عثيمين-رحمه الله-: (التوكل هو صدق الاعتماد على الله عَزَّ وَجَلَّ، في جلب المنافع، ودفع المضار، مع فعل الأسباب التي أمر الله بها)[٤].

وهذا تعريف جيد جامع.

---

(١) جامع العلوم والحكم (٤٣٦).
(٢) جامع العلوم والحكم (٤٣٧).
(٣) تاج العروس، مادة (وكل).
(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ٦٣).

حقيقة التوكل

حقيقة التوكل هي: اعتماد القلب على الله، مع الأخذ بالأسباب، مع التيقن الكامل بأن الله هو الرازق الخالق المحيي المميت، لا إله غيره، ولا رب سواه.

والتوكل أعم من الاستعانة، فإن الاستعانة هي أن تطلب من الله أن يعينك على فعل أمرٍ من الأمور.

أما التوكل فيدخل فيه الاستعانة، فتتوكل على الله في إعانتك على أمورك، والتوكل أيضاً أوسع وأشمل من ذلك، فيدخل فيه التوكل على الله في جلب المنافع ودفع المضار، وغير ذلك من الأمور.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (التوكل يتناول التوكل على الله، ليعينه الله على فعل ما أمر، والتوكل على الله ليعطيه ما لا يقدر العبد عليه، فالاستعانة تكون على الأعمال، وأما التوكل فأعمّ من ذلك، ويكون التوكل عليه لجلب المنفعة، ودفع المضرة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ

﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة:٥٩][١].

فالتوكل يكون في جلب المنافع ودفع المضار، والاستعانة تكون على العبادة، فالتوكل أعم من الاستعانة، وقد جمع الله بين الأصلين في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، فالعبادة له والاستعانة به والتوكل عليه وحده لا شريك له.

يقول الشريف المرتضي:

إِذَا مَا حَذِرْتَ الأَمْرَ فَاجْعَلْ إِزَاءَهُ
رُجُوعاً إِلَى رَبٍّ يَقِيكَ المُحَاذِرَا

وَلاَ تَخْشَ أَمْراً أَنْتَ فِيهِ مُفَوِّضٌ
إِلَى الله غَايَاتٍ لَهُ وَمَصَادِرَا

وَكُنْ لِلَّذِي يَقْضِي بِهِ الله وَحْدَهُ
وَإِنْ لَمْ تُوَافِقْهُ الأَمَانِي شَاكِرَا

وَإِنِّي كَفِيلٌ بِالنَّجَاةِ مِنَ الأَذَى
لِمَنْ لَمْ يَبِتْ يَدْعُو سِوَى الله نَاصِرَا

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٧٧).

فإذا جاءت الأمور على غير ما تتمنى فكن شاكراً لله، ولا تخش شيئاً، وإذا فوضت أمرك إلى الله، وكنت رجّاعاً إلى الله متكلاً عليه؛ فعند ذلك ينصرك الله تعالى ويؤيدك.

الأخذ بالأسباب

إن التوكل على الله لا يعني بحالٍ عدم اتخاذ الأسباب، فالتوكل يعتمد على أمرين: الثقة بالله والاعتماد عليه، مع الأخذ بالأسباب.

وإنما الذي ينبغي ملاحظته هو عدم الاعتماد على الأسباب، وأن يعرف العبد أن الأخذ بالأسباب إنما هو سيرٌ على السنن الكونية، وأن النافع والضار هو الله وحده فقط.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (سر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها)[(١)].

وهذا هو الفرق بين من توكل على الله حقيقة التوكل، ومن توكل عليه ادعاءً باللسان فقط، فإن ذهاب الأسباب لا يعني شيئاً للمتوكل حقيقةً؛ لأنه يعلم أن الله الذي يعتمد عليه باقٍ وموجود.

---

(١) الفوائد (٨٧).

أما الذي يتوكل على الله ادعاءً فما إن تنهار الأسباب حتى ينهار هو معها، لضعف توكله على الله واعتماده عليه.

اتخاذ النبي ﷺ للأسباب:

لقد كان النبي ﷺ أكبر المتوكلين على الله، ومع ذلك فقد اتخذ الأسباب العديدة في مواقف كثيرة؛ ليبين لأمته أن اتخاذ الأسباب لا ينافي التوكل.

فقد ظاهر ﷺ بين درعين، أي: لبس درعين واحدة فوق الأخرى، فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ يَوْمَ أُحُدٍ»[(١)]. «ولبس لأمته ﷺ»[(٢)].

ووضع المغفر (الخوذة) على رأسه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١٥٧٦٠) وصححه شعيب الأرنؤوط.
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٧٠٢٨).
(٣) رواه البخاري (١٧٤٩).

وفي طريق الهجرة اتخذ دليلاً يرشده إلى الطريق، وعمد إلى تعمية الأثر، وخرج في وقت يغفل فيه الناس، وذهب من طريق غير الطريق الذي يُسْلَك عادة.

كل هذا من باب الأخذ بالأسباب، وتعليم أمته أن اتخاذ الأسباب من الأشياء المهمة جداً، والتي لا يستغني المسلم المتوكل عنها.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً**»[1].

ففي هذا الحديث بيانٌ لأهمية الأخذ بالأسباب؛ فالطير التي تكفل الله برزقها لم تبقَ في عشها تنتظر أن يأتيها الرزق، بل خرجت في الغدو -وهو الصباح الباكر- جائعة تبحث عن رزقها، فحقق الله لها مرادها، وجعلها تعود إلى أعشاشها وقد شبعت.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، ورواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣٥٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وعلى المسلم أن يتنبه حين الأخذ بالأسباب أن تكون تلك الأسباب جائزة شرعاً، حيث نرى بعض الناس يرشي الموظفين لإتمام مصالحه ويقول: هذا من باب التوكل، ويغش الطالب في الامتحان ويقول: هذا من باب التوكل. وهذا كله ليس من التوكل في شيء، بل هو منافٍ ومضادٍ للتوكل؛ لأنه لو توكل على الله حق توكله لم يرتكب ما يخالف شرعه.

الفرق بين التوكل والتواكل

كما سبق فإن التوكل لابد فيه من اتخاذ الأسباب، أما عدم الأخذ بالأسباب فهو التواكل، وهو ليس من دين الله في شيء.

وكما يقال: من ترك التوكل قدح في التوحيد، ومن ترك الأسباب قدح في العقل.

والتواكل هو أحد أسباب ضعف الأمة، يجلس الرجل في بيته ينتظر رزقه وهو لا يحرك ساكناً، ويقول: أنا متوكل على الله.

وينتظر الناس أن ينصرهم الله على أعدائهم، ولم يعدوا لذلك علماً ولا عدة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[البقرة: ١٩٧])[١].

(١) رواه البخاري (١٥٢٣).

فانظر كيف أنكر الله عليهم ادعاءهم التوكل، وهم لا يتزودون بشيء مما يعينهم على أمور حجهم.

وليس المقصود أن يُرهِق الإنسان نفسه في اتخاذ الأسباب، ويكلفها ما لا تطيق، بل قد يكفي أحياناً السبب اليسير الضعيف، ولنا في قصة مريم دليل على ذلك، حيث أمرها بهز الجذع ليتساقط عليها التمر، ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥].

وقد يستغرب البعض ويقول: هذه المرأة، الضعيفة، الحامل، كيف تهز هذه النخلة القوية الراسخة ليتساقط عليها الرطب.

ونحن نقول له: نعم، إن الله عَزَّ وَجَلَّ أراد أن يعلمنا من خلال قصة هذه المرأة أهمية اتخاذ الأسباب، ولو كانت تلك الأسباب ضعيفة، فإن هذه المرأة الصالحة لم يكن لها حيلة في ذلك الوقت إلا هذا العمل الضعيف، ولكن لما توكلت على الله حق توكله، وعملت بالسبب الضعيف؛ أعطاها الله ما تريده وأناها إياه.

تَوَكَّـلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ
وَلاَ تُؤْثِرَنَّ العَجْزَ يَوْماً عَلَى الطَّلَبْ

أَلَــمْ تَـــرَ أَنَّ اللهَ قَــالَ لِمَرْيَــمٍ
إِلَيْكِ فَهُزِّي الجِذْعَ يَسَّاقَطِ الرُّطَبْ

وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيهِ مِنْ غَيْرِ هَزِّهَا
جَنَتْهُ وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَــهُ سَبَبْ[1]

لقد كان من الممكن أن يسقط الله التمرَ بلا سبب، ولكن لما كان السبب سنة كونية أمرها بهز الجذع.

وإذا عدم الإنسان كل سبب ممكن؛ فلا ينسى أعظم الأسباب وأقواها، ألا وهو دعاء الله ﷻ والاستغاثة به.

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس (١/ ٢٦).

حكم التوكل

إن التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (فإن التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات، كما أن الإخلاص لله واجب، وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة، ونهى عن التوكل على غيره سبحانه)[١].

بل إن التوكل شرط الإيمان، فالمفهوم من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] أنه إذا انتفى التوكل انتفى الإيمان.

والتوكل هو أحد مباني توحيد الإلهية كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

آيات في فضل التوكل والحث عليه:

ورد لفظ التوكل في القرآن في اثنين وأربعين موضعاً، جاء

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٦).

أحياناً بلفظ الإفراد والجمع، وأحياناً بلفظ الماضي والمضارع والأمر، وكلها جاءت بمعنى الاتكال والاعتماد على الله وتفويض الأمر إليه.

وقد تنوع الأسلوب القرآني في بيان فضل التوكل والحث عليه، وإليك هذه الصور من صور التنوع في الأسلوب:

أ ـ أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالتوكل عليه:

لقد خص الله تعالى نبيه ﷺ بالأمر بالتوكل عليه في آيات من القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، وقوله عز وجل: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله أيضاً: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقوله عز شأنه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ

ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقوله: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الملك: ٢٩].

وأمرُ الله نبيَه ﷺ بالتوكل، أمرٌ لأمته.

ب ـ أمر الله عباده المؤمنين بالتوكل عليه:

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتوكل عليه، وحث على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

جـ وصف المؤمنين بأنهم يتوكلون على ربهم:

التوكل على الله صفة علية من صفات عباد الرحمن، وشعار يتميزون به عمن سواهم، وعلامة بارزة لأهل الإيمان كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

(أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف

بالملك وحده، لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب) كما قال ابن كثير -رحمه الله-[١].

د- ذكر أمثلة من توكل الأنبياء:

✍ لقد أمرنا الله عز وجل أن نتخذ إبراهيم عليه السلام والمؤمنين الذين معه أسوة وقدوة نقتدي بهم، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وحدثنا عز وجل عنهم أنهم قالوا لقوة إيمانهم: ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤] أي: توكلنا عليك في جميع أمورنا وسلمناها إليك وفوضناها إليك.

هكذا توكلوا على الله، وسلموا لله الأمور تسليماً مطلقاً، وصحبوا التوكل في جميع أمورهم، مع بذل جهد في رضا الرحمن.

✍ ثم إن إبراهيم عليه السلام همَّ قومه بإحراقه وجمعوا لذلك حطباً كثيراً جداً.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٩).

قال السدي: (كانت المرأة تمرض، فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطباً لحريق إبراهيم)[١].

ثم جعلوه في جَوْبة من الأرض، وأضرموها نارًا، فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع، وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق. فلما ألقوه قال إبراهيم عليه السلام: "**حسبي الله ونعم الوكيل**"، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ("**حسبنا الله ونعم الوكيل**" قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار...)[٢].

وهاهو موسى عليه السلام توكل على الله، وأمر قومه بالتوكل عليه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٨٤].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: (معنى الآية: أن موسى عليه السلام أمر قومه بدخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم، ولا يرتدوا على أدبارهم خوفاً من الجبارين، بل يمضوا قدماً، لا يخافونهم ولا يهابونهم

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٧).
(٢) رواه البخاري (٤٥٦٣).

ولا يخشونهم، متوكلين على الله في هزيمتهم، مصدقين بصحة وعده لهم؛ إن كانوا مؤمنين)[١].

✍ ولنا في نبينا محمد ﷺ وأصحابه قدوة حسنة، ففي غزوة أحد: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ("حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[آل عمران: ١٧٣])[٢].

فالتوكل هو عدة المؤمنين يوم يتوعدهم الناس ويخوفونهم بكثرة الأعداء.

هُوَ القَرِيبُ الُمجِيبُ الُمسْتَغَاثُ بِهِ
قُلْ حَسْبِيَ الله مَعْبُودِي وَمُتَّكلي

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٣٨).

(٢) رواه البخاري (٤٥٦٣).

المقامات التي ذُكِرَ فيها التوكل

إن مما يبين منْزلة التوكل وفضله هو تلك المقامات التي ذُكِرَ فيها، حيث إن التوكل ذكر في مقامات عديدة، منها:

١- **الأمر بالتوكل في مقام العبادة:** قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣] فأمر الله رسوله ﷺ والمؤمنين بالعبادة والتوكل في مقام واحد.

وقال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢-٣] فبعد أن أمره بعبادته وإتباع ما يوحى إليه من ربه أمره بالتوكل عليه، وهو أمر له ولأمته من بعده إلى يوم القيامة؛ لأن الأصل أن النبي ﷺ إذا خوطب بشيء فهو خطاب لأمته ما لم يقم دليل على التخصيص.

٢- **الأمر بالتوكل في مقام الدعوة:** قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩] فهو الذي تنتهي إليه

القوة والملك والعظمة والجاه، وهو حسب من لاذ به، ويكفي من استجار به ويدفع عنه الشر عَزَّوَجَلَّ ويحميه.

ونوح عَلَيْهِ السَّلَامُ توكل على الله في مقام الدعوة: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس: ٧١].

فبعد طول الدعوة، ومكوثه السنين الطوال في دعوة قومه، وتكذيب قومه له؛ توكل على الله وفوض الأمر إليه وهو ماضٍ في الدعوة.

ويجب أن يكون الداعية الإسلامي هذا شأنه، فيصبر على الأذى في الدعوة، ويتوكل على الله في طريق دعوته.

٣- **التوكل في مقام الحكم والقضاء**: قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٠].

وفيه إشارة إلى أن القاضي أو الحاكم ما دام على الحق فإن عليه أن يتوكل على الله؛ ليعينه على القضاء بالحق.

٤- **التوكل في مقام الجهاد وقتال الأعداء**: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:١٢١-١٢٢]

فقد أمرهم الله أن يتوكلوا عليه مع أنهم أعدوا العدة وجهزوا الجيش؛ لأن الله تعالى هو الناصر والغالب، وقد أوضح ذلك بقوله: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٠]. فالله عز وجل هو الناصر في حال الضعف: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة:١١]. كما أنه هو الناصر في حال القوة: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ [التوبة:٢٥].

وفي قصة موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟

مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٢-٢٣].

٥- **التوكل على الله في مقام السلم:** قال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١]. وقد يستغرب بعض الناس من التوكل في هذا المقام؛ فبعد وضع الحرب أوزارها، وكف أيدي الأعداء عن المسلمين، ما فائدة التوكل؟!

تظهر فائدة التوكل في مظاهر كثيرة، منها ما حصل بعد غزوة الحديبية، حيث جنح أهل قريش للسلم فعاهدهم النبي ﷺ على ذلك، وبسبب التوكل على الله في هذا الصلح والسلم دخل في الإسلام الكثير والكثير من أهل الجزيرة العربية، وكان ذلك بمثابة الفتح على المسلمين.

٦- **الأمر بالتوكل في مقام المشورة:** قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ففي الآية إشارة إلى أن المشورة من باب الأخذ بالأسباب، وأما السبب الحقيقي لتحقيق المراد عند العزم على الأمر هو التوكل على الله.

وانظر إلى العظماء وأصحاب المناصب الراقية، كيف يجمع الشخص منهم مئات المستشارين والخبراء حوله، فيشيرون عليه بأحد الآراء، ثم يتبين له بعد الأخذ بآرائهم أنهم كانوا مخطئين.

فلابد من التوكل على الله، بعد الأخذ بالمشورة والأسباب.

٧- **التوكل على الله في مقام طلب الرزق**: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (إن أكبر آية في كتاب الله تفويضاً قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق: ٢-٣])[1].

(١) المعجم الكبير (٩/ ١٣٣).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا الله وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرُمَ**»(١).

٨- **التوكل في مقام العهود والمواثيق**: أخبر الله عن يعقوب عليه السلام أنه توكل على الله عندما قال له أولاده: ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا ﴾ [يوسف:٦٣] فقال لهم: ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [يوسف: ٦٦] والموثق: هو العهود والأيمان المغلظة، ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف: ٦٧].

٩- **التوكل في مقام الهجرة في سبيل الله**: ففي ذلك المقام الأليم على النفس وصف الله عباده بالمتوكلين، حيث يترك الإنسان مأواه وداره وأمواله ويتغرب ويضحي

---

(١) رواه ابن ماجة (٢١٤٤)، وصححه الألباني.

بعشيرته وبالذكريات الحبيبة، ولكن يهوّن ذلك عليه التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

وانظر إلى توكل النبي ﷺ وصاحبه في طريق الهجرة: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

١٠- التوكل في مقام إبرام عقود البيع والإجارة والزواج:

وقد حصل هذا في قصة موسى عليه السلام لما اتفق مع الرجل الصالح على أن يزوجه ابنته على أن يأجره ثماني حجج أو عشراً: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ

عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴾ [القصص: ٢٧-٢٨] وقد قضى موسى العشر وأتمها وأكملها، كما وعد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (قَضَى أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ إِذَا قَالَ فَعَلَ)[1]، والأليق بالنبي هو الأكمل.

١١- التوكل في مقام طلب الآخرة: قال تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى:٣٦]. وهل هناك مقام أعظم من هذا المقام؛ لأن الآخرة هي المُنى، وهي طلب كل مؤمن، فعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله في طلب تلك الدار.

(١) رواه البخاري (٢٥٣٨).

فوائد التوكل على الله

من توكل على الله كفاه:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق:٢-٣].

لقد جعل الله لكل عملٍ جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل الكفاية، فمن اكتفى بالله كفاه الله، ومن توكل الله فهو حسبه وكافيه.

وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
سُبُلُ الخَلاَصِ وَخَابَ فِيهَا الآمِلُ
وَأَيِسْتَ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَا لـهـا
سَـبَبٌ وَلاَ يَـدْنُو لَهَـا مُتَنَـاوِلُ
يَأْتِيكَ مِنْ أَلْطَافِهِ الفَرَجُ الَّــــذِي
لَمْ تَحْتَسِبْــهُ وَأَنْـتَ عَنْـهُ غَافِــلُ [١]

(١) حياة الحيوان الكبرى (٢/ ١٧).

ولما كان النبي ﷺ من أعظم الناس توكلاً على الله فقد جازاه الله على ذلك بأن كان حسبه وكافيه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤] أي: إن الله حسبك وكافيك أنت والمؤمنين الذين صدقوا الله في توكلهم.

وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢].

قال ابن القيم -رحمه الله- في معنى ﴿ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ ﴾: (أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه؛ فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لابد منه -يقصد قوله: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗى ﴾ [آل عمران:١١١] - كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره العدو بما يبلغ به مراده فلا يكون)[١].

وقد حدثني شخص شيشاني بهذه القصة في موسم الحج، قال: (حاصر الروس منْزلي، وهرب جميع أهل البيت، إلا أنني لم أستطع الهرب، وعندما ضاق بي الأمر ذهبت إلى حفرة بجانب

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٦٥).

البيت نضع فيها محصول البطاطس، وألقيت نفسي في الحفرة، ولم أكن أملك سلاحاً أدافع به عن نفسي، ولم أكن أستطيع الهرب، وعندما اقترب الجنود من الحفرة التي أنا فيها لم أجد شيئاً أعتمد عليه إلا التوكل على الله، وكنت أقرأ هذه الآية: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:٩]، حتى جاء أحد الجنود يبحث في الحفرة، ونظر إلى عيني مباشرة، ثم قال لأصحابه: ليس هناك أحد في الحفرة، فخرجوا من المنْزل وتركوني).

وهذه إحدى فوائد التوكل الصادق على الله عز وجل.

استشعار معية الله:

لأن الإنسان متى ما توكل على الله واعتمد عليه، أحس بأن الله عز وجل قريب منه، وأنه معينه على مراده، وفي هذا استشعار لمعية الله تعالى في كل وقت وحين.

استجلاب محبة الرب:

فإن الله عز وجل يحب من توكل عليه حق التوكل، لأن هذا

المتوكل عمل بأوامره، وأخذ بالأسباب التي شرعها الله، وبقي قلبه معلقاً بربه تعالى.

كما أن العبد بالتوكل يزيد حبه لربه وخالقه؛ لأنه يعلم أنه كالئُه وناصره ومغنيه ورازقه.

النصر على الأعداء:

إن من توكل على الله نصره على أعدائه، وهيأ له أسباب النصر عليهم، وخذلهم أمامه، وهؤلاء الصحابة علموا بذلك فقالوا: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤]، وقال تعالى يصف المؤمنين في غزوة الأحزاب: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢].

دخول الجنة بغير حساب:

مما ورد في فضل التوكل أنه يدخل بسببه سبعون ألفاً من

أمة محمد الجنة بغير حساب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضت عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ». ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِالله وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ. فَبَلَغَ النَّبِيّ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢٢٠).

الحصول على الرزق:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ: تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً**»(١).

حفظ النفس والأهل والولد:

لذلك يعقوب عليه السلام حينما نصح أبناءه بالنصائح التي تحفظهم أوكل أمره بعد ذلك إلى الله فقال: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف:٦٧]؛ لأن الله هو الحافظ، وهو الذي يعتمد عليه في رعاية النفس والأهل والولد.

الحفظ من الشيطان:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة:١٠].

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وصححه الحاكم.

فبين تعالى أن الشيطان لا يستطيع أن يضر عباده إلا بإذنه، ثم أمرهم بالتوكل عليه ليحفظهم منه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ -يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ-: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ**»(١).

الراحة النفسية:

إن العبد مهما اتخذ من أسبابٍ لتحقيق مراده فلابد أن تبقى له بعض الثغرات التي لم يسدها، والتي يخشى أن يتسلل إليه الفشل وعدم الحصول على مراده من خلالها، ولكنه متى ما توكل على الله، وعلم أن الله سيكفيه في أموره كلها؛ لم يخشَ من تلك الثغرات، وحصل على راحةٍ نفسية، وارتياح بالٍ.

وبالتوكل على الله يأمن الإنسان من الانهيارات النفسية والعصبية، ولو تنبه الأطباء النفسيون لأهمية التوكل لجعلوه من أهم علاجاتهم.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٦)، وصححه الألباني.

ولو كان هؤلاء المنتحرون توكلوا على الله حق توكله لما لجؤوا إلى الانتحار، ولأوكلوا أمرهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وأسلموا أنفسهم إليه، راضين بقضائه وقدره.

بعث العزيمة على العمل:

التوكل على الله يبعث في القلب الحماس والعزيمة للعمل؛ لأن فيه فتحاً لباب الأخذ بالأسباب المشروعة، وعندما يفهم المرء التوكل فهماً صحيحاً ينطلق للعمل ويأخذ بالأسباب، وهذا فيه تشجيع على الإنتاج.

العز والغنى النفسي:

فالمسلم متى ما توكل على الله تعالى، وأسلم أمره لله؛ أحس بالعز لأنه يعتمد على الله العزيز، كما أنه يستغني عن الناس لأنه مستغنٍ بالغني.

وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٤٩]، وقد جاء باسم العزيز بعد التوكل إشعاراً بأن من توكل عليه عَزَّ به، ولم يضع باستجارته به.

التوكل: علم القلب، وعمله

التوكل على الله عز وجل يجمع علم القلب وعمل القلب.

أما علم القلب: فأن يعلم بأن الله مقدرُ الأشياء ومدبرها... إلخ.

وعمل القلب: سكون القلب للخالق والاعتماد عليه والثقة به ... إلخ.

ولتوضيح الأمر نقول: إن على العبد المتوكل على الله أن يتعلم القضايا التالية ويعمل بها:

١- **معرفة الرب وصفاته**: فعلى العبد أن يعرف الرب بأسمائه وصفاته، يعرف قدرة ربه، وكفايته، وقيوميته، وقوته، وعظمته، وحياته المطلقة، وعدم طروء النوم والتعب عليه.

فإذا عرف العبد كل ذلك توكل على الله حق توكله، وعلِمَ أنه أسلم أمره للقوي العزيز.

٢- **رسوخ القدم في طريق التوحيد**: فالعبد إذا حقق التوحيد كان له من التوكل النصيب العظيم، قال تعالى: ﴿ فَإِن

تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [التوبة:١٢٩] اكتفاء بالله، وتوحيد، وتوكل.

٣- **الاعتماد على الله عَزَّ وَجَلَّ في كل الأمور**: وليس كما يفعله بعض الجهلة حينما يتوكلون على الله إذا عدموا الأسباب، وفي حال وجود الأسباب نسوه وتعلقوا بتلك الأسباب.

٤- **حسن الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ**: فمتى ما توكل العبد المؤمن على ربه عليه أن يحسن الظن به، وأن يعلم أن من توكل عليه كفاه، فلا يضطرب قلبه، ولا يبالي بإقبال الدنيا أو إدبارها؛ لأن اعتماده على الله، ويكون حاله كحال إنسان أعطاه ملك درهماً فسُرِقَ منه، فقال الملك: عندي أضعافه فلا تهتم، متى جئت أعطيتك أضعافه من خزائني. فمن يعلم أن الله ملك الملوك، وأن خزائنه ملأى؛ لا يقلق إذا فاته شيء.

وفي الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[1]، فحسن الظن يدعو إلى التوكل على الله، والتوكل على الله لابد فيه من حسن الظن.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

٥- **استسلام القلب لله سبحانه وتعالى**: فإذا استسلم كاستسلام العبد الذليل لسيده وانقاد له؛ حصل التوكل.

إِذَا ابْتُلِيتَ فَثِقْ بِاللهِ وَارْضَ بِهِ
إِنَّ الَّذِي يَكشِفُ البَلْوَى هُـوَ اللهِ

إِذَا قَضَى اللهِ فَاسْتَسْلِمْ لِقُدْرَتِهِ
مَا لامْـرِئٍ حِيْلَـةٌ فِـيمَا قَـضَى الله

اليَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَاناً بِصَاحِبِهِ
لاَ تَيْأَسَـــنَّ فَنِعْـمَ القَـــادِرُ الله[1]

٦- **التفويض**: قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [غافر: ٤٤].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (إن أكبر آية في كتاب الله تفويضاً قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق:٢-٣])[2].

(١) المستطرف (٢/ ١٥١).
(٢) المعجم الكبير (٩/ ١٣٣).

قال ابن القيم نقلاً عن شيخه ابن تيمية -رحمهما الله-: (المقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله، والرضا بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل ورضي بالمقضي بعد الفعل فقد قام بالعبودية)[١].

ولذلك انظر إلى دعاء الاستخارة: «**وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ**»[٢]، فالتوكل على الله تفويض قبل وقوع المقدور ورضاً بعد وقوع المقدور.

٧- **إثبات الأسباب والمسببات وأنها لا تستقل بنفسها في التأثير:**
فإن من جحد الأسباب وعطلها فهو غبي مجنون، ومن اعتمد عليها فقط دون الاعتماد على قدرة الله تعالى فهذا شرك.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله: أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟، قَالَ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**»[٣].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢٢).
(٢) رواه البخاري (١١١٦).
(٣) رواه الترمذي (٢٥١٧)، وحسنه الألباني.

وأحياناً قد لا يجد المرء إلا الدعاء، ونِعمَ السببُ.

والله عَزَّوَجَلَّ قد علَّم عباده الأخذ بالأسباب فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولًا فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾ [الملك: ١٥]، وقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة:١٠]، وقال: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل:٢٠].

ولما سئل الإمام أحمد –رحمه الله– عن هؤلاء الذين يزعمون أنهم متوكلة ويقولون: نقعد وأرزاقنا على الله عَزَّوَجَلَّ، قال الإمام أحمد: (هذا قول رديء! أليس الله قد قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ ؟! [الجمعة:٩-١٠])[1].

---

(١) تلبيس إبليس (٣٤٨).

الأمور المنافية للتوكل

١ـ التطير والتشاؤم:

التطير والتشاؤم: هو أن يرى الرجل أو يسمع شيئاً فيتشاءم منه، ويظن أن مقصوده لن يتحقق له بسبب ما رآه أو سمعه، أو أنه لا ينبغي له أن يمضيَ في عمله بسبب ذلك.

وهذا التطير ينافي التوكل على الله؛ لأن القلب المعلق بالله المتوكل عليه لا يمكن أن يرده رؤية رجل أعور، أو طيرٍ يطير إلى الشمال، أو أنه حجز في المقعد رقم ثلاثة عشر في الطائرة، وغير ذلك من الترهات والتفاهات.

وقد حذر النبي ﷺ من هذه الطيرة فقال: «**لاَ طِيَرَةَ**»[(١)].

والتطير والتشاؤم ليس منافياً للتوكل فقط، بل هو منافٍ للتوحيد.

(١) رواه البخاري (٧٥٥٤) ومسلم (٢٢٢٠).

٢ـ التنجيم والكهانة:

ومن الأمور المنافية للتوكل أيضاً الذهاب إلى الكهنة والعرافين والمنجمين لمعرفة الغيب، ومعرفة ما الذي سيحصل في المستقبل.

ولو كان المؤمن متوكلاً على الله حق التوكل ما قصد أحداً غيره، ولا طلب معرفة ما الذي سيحصل من الذي لا يمكن له معرفة الغيب.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (لما أراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج عرض له مُنَجِّمٌ فقال: يا أمير المؤمنين لا تسافر؛ فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك. أو كما قال. فقال علي: بل نسافر ثقة بالله وتوكلاً على الله وتكذيباً لك. فسافر فبورك له في ذلك السفر حتى قتل عامة الخوارج وكان ذلك من أعظم ما سُرَّ به حيث كان قتاله لهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم)[١].

ولو سمع المؤمن خبراً من كاهن أو عرَّاف أو منجم فالخير كل الخير له في مخالفته وعدم اعتبار ما قاله.

---

(١) الفتاوى الكبرى (١/ ٥٧).

٣ـ تعليق التمائم:

ومن الأمور المنافية للتوكل تعليق التمائم، كما يفعل كثيرٌ من الجهال، فيعلقون على صدورهم خرزات زرقاء، أو أوراقاً يأخذونها من الدجالين والمشعوذين؛ يقصدون بها حماية أنفسهم.

وأين التوكل على الله ممن هذا صنيعه؟!

ولهؤلاء عقوبة تناسب جريمتهم، بينها ﷺ بقوله: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**»[1]، فعندما تعلقوا بالحبر والورق وما أشبهه ولم يتوكلوا على الله؛ علقهم الله بما تعلقوا به، ووكلهم إليه، وكفى بذلك خسراناً.

٤ـ التبرك بالأحجار والأشجار:

إن التبرك بالأحجار والأشجار وكل ما لا يجوز التبرك به؛ كل هذا من الأمور المنافية للتوكل على الله عز وجل، وقد يؤدي مثل هذا إلى الشرك بالله والعياذ به.

(١) رواه الترمذي (٢٠٧٢) والنسائي (٤٠٧٩) قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

٥ـ عدم السعي في طلب الرزق:

سبق وأن ذكرنا أن الأخذ بالأسباب من شروط التوكل، وأن عدم الأخذ بالأسباب من الأمور المنافية للتوكل.

ونتحدث هنا عن طامة شاعت في عصرنا وزماننا، ألا وهي البطالة، فقد أصبح كثيرٌ من الناس يتواكلون على غيرهم في رزقهم، فالابن يعتمد على أبيه في رزقه، والأخ يأخذ من أخته الموظفة.

وأصبح الشباب لا يبحثون عن العمل المنتج المثمر، بل يحبون أن يبقوا في أعمالٍ لا جهد حقيقي فيها، ويفضلون البطالة على الجهد والسعي في طلب الرزق.

وقد دل الكتاب والسنة على أنواع من طرق اكتساب الرزق، نذكر بعضها تنبيهاً لهؤلاء الكسالى والبطالين:

أ- أول وأعظم أسباب الرزق، وأحل الحلال في الأرض؛ هو غنائم القتال، قال تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال:٦٩]، وقال رسول الله ﷺ: «**وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي**»[1].

(١) رواه أحمد (٥٠٩٤)، وصححه الألباني.

ب- العمل باليد: قال الرسول ﷺ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ الله دَاودَ** عليه السلام **كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»[(١)]، وقال: «**لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَداً فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ**»[(٢)].

ج- التجارة: وهي عمل كثير من المهاجرين والأنصار، وهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عندما عرض عليه بعض الأنصار نصف ماله أبى وقال: (دلوني على السوق)[(٣)].

د- الحرث والغرس والزرع: وهي من أهم أنواع السعي في الرزق؛ لما فيها مِن توكُّلٍ على الله لا يوجد في غيره، وتعلق حقيقي بالله تعالى؛ لأن المزارع متى بذر البذر وسقاه وحرثه علم أن خروجه متوقف على قدرة الله ومشيئته، وأن حمايته من الجوائح ليس إلا بقدرةٍ من الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٢).
(٢) رواه البخاري (٢٠٧٤).
(٣) رواه البخاري (٥٠٧٢).

فكم من مزارع ذهب زرعه بسبب تكالب الجراد عليه وأكله، وكم من أصناف المزروعات التي هلكت بسبب الجفاف، أو بسبب كثرة نزول المطر أو الثلج عليها.

فهؤلاء الحراث والزراع هم من أشد أصحاب الأعمال تعلقاً بالله عز وجل كما هو ملاحظ.

٦ـ عدم السعي في طلب العلاج:

ومن الأمور المنافية للتوكل عدم السعي في طلب العلاج حين نزول المرض، وقد قال النبي ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ الله** عز وجل **دَاءً إِلاَّ أَنْزَلَ له شِفَاءً**»[١].

كما أنه ﷺ أمر بالتداوي فقال: «**تَدَاوَوْا عِبَادَ الله**»[٢].

والتداوي ما هو إلا أخذ بالأسباب التي شرعها سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه البخاري(٥٦٧٨).

(٢) رواه الترمذي(٢٠٣٨) ،ورواه ابن ماجة (٣٤٣٦)، وصححه الألباني.

من قصص المتوكلين

إن من الأمور التي تحث العبد على التوكل على الله، وتعلق قلبه به، سماع قصص الصالحين المتوكلين على الله ﷻ، وما أصابهم من نعماء بسبب توكلهم الصادق على الله، وعلى رأس هؤلاء المتوكلين رسولنا ﷺ.

• النبي ﷺ وصاحب السيف:

لما نزل رسول الله ﷺ مع أصحابه في وادٍ فعلَّق سيفه في شجرة فتفرق الناس في الوادي يستظلون في الشجر فلم يرُعهُم إلا والنبي ﷺ يدعوهم فأتوه، فإذا بشخص وسيفٌ ساقط، فقال الرسول ﷺ: «**إِنَّ رَجُلاً أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلاَّ وَالسَّيْفُ صَلْتاً فِي يَدِهِ** - أي: مسلولاً - **فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فقُلْتُ: الله. ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فقُلْتُ: الله. قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ** - أي: أغمده، **فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (٨٤٣).

هذا هو التوكل والتفويض والاستعانة.

• النبي ﷺ في الغار:

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»(١).

هذا هو التوكل والتفويض يظهر في أوقات الأزمات جلياً واضحاً، يظهر أن هذا العبد قلبه مفتقر إلى الرب متوكل عليه مفوض أمره إليه خصوصاً إذا لم يكن هناك أسباب تتخذ إلا تفويض الأمر إلى الله.

• المرأة وعنزاتها:

وهاك قصة لطيفة تدل على مدى أهمية التوكل، وما يجنيه المتوكل من الفائدة، رواها الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- عن النبي ﷺ الذي قال: «**إِنَّ امْرَأَةً خَرَجَتْ فِي سَرِيَّةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ**

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٣) ومسلم (٢٣٨١).

وَتَرَكَتْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ عَنْزاً لَهَا وَصِيصِيَتَهَا - أي: مغزلها - كَانَتْ تَنْسِجُ بِهَا، فَفَقَدَتْ عَنْزًا مِنْ غَنَمِهَا وَصِيصِيَتَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَب إنك قَد ضمنتَ لِمَن خَرَجَ فِي سَبِيلِكَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيْهِ، وَإِنِّي قَدْ فَقَدْتُ عَنْزاً مِنْ غَنَمِي وَصِيصِيَتِي، وَإِنِّي أَنْشُدُكَ عَنْزِي وَصِيصِيَتِي، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُ شِدَّةَ مُنَاشَدَتِهَا لِرَبِّهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَصْبَحَتْ عَنْزُهَا وَمِثْلُهَا وَصِيصِيَتُهَا وَمِثْلُهَا»[(١)].

فيا سبحان الله!!.

فهذه التي صدقت في توكلها على الله عز وجل لم يحفظ الله تعالى لها عنْزها فقط، بل زادها الضعف بسبب صدق التوكل.

• المرأة والتنور:

وكذلك ذكر الإمام أحمد - رحمه الله - بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره، فدخل على امرأته جائعا قد أصابته مسغبة شديدة، فقال لامرأته: أعندك شيء؟

---

(١) رواه أحمد (٢٠١٤١)، وصححه الألباني.

قالت: نعم، أبشر أتاك رزق الله. - مع أنها ليس لديها شيء لكنها الثقة والاعتماد على الله ورجاء الله- فاستحثها، فقال: ويحك ابتغي إن كان عندك شيء. قالت: نعم هنية نرجو رحمة الله. حتى إذا طال عليه الطوى -أي: الجوع- قال: ويحك قومي فابتغي إن كان عندك خبز فأتيني به، فإني قد بلغت وجهدت. فقالت: نعم الآن ينضج التنور فلا تعجل، فلما أن سكت عنها ساعة، وتحينت أيضا أن يقول لها، قالت هي من عند نفسها: لو قمت فنظرت إلى تنوري. فقامت فوجدت تنورها ملآن جنوب الغنم ورحييها تطحنان!! فقامت إلى الرحى فنفضتها، وأخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم، قال أبو هريرة: فوالذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد ﷺ: «**لَوْ أَخَذَتْ مَا فِي رَحْيَيْهَا وَلَمْ تَنْفُضْهَا لَطَحَنَتْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ!!**»[١].

- **عمر والمجذوم، وخالد والسم:**

لقد ذكرت لنا كتب الحديث قصتين، قد يستشكلهما بعض

---

(١) رواه أحمد (٩١٦٨)، ووثق رجاله الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٧٤).

الناس، وهي قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أكل مع المجذوم[١].

وقصة خالد بن الوليد رضي الله عنه حينما شرب من السم، فعن أبي السفر قال: نزل خالد بن الوليد الحيرة فقالوا له: احذر السم لا يسقيكه الأعاجم. فقال: (ائتوني به، فأتي به، فأخذه بيده ثم اقتحمه – أي: شرب – وقال: بسم الله. فلم يضره شيئاً)[٢].

فقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستفاد منها شدة توكله على الله.

وذكر العلماء توجيهاتٍ لهذه القصة، منها:

١ – أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد التأكيد على نفي العدوى، ولم يرد مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالفرار من المجذوم.

٢– أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد مواساة المجذوم؛ لأنه ناقص الخلقة.

٣– أن حديث (لا عدوى) إنما يعمل به من قوي توكله على

(١) سنن الترمذي (١٨١٧).
(٢) مسند أبي يعلى (٧١٨٦).

الله، أما حديث (فر من المجذوم) فيعمل به من ضعف توكله على الله[1].

وقصة خالد بن الوليد يستفاد منها أنه رضي الله عنه توكل على الله حق توكله فلم يؤذه السم.

ولكن ليس لأحدٍ أن يُقَلِّدَ خالداً في ذلك؛ لأن العلماء ذكروا توجيهاتٍ لقصته، منها:

١- أن الأمر كان كرامة لخالد رضي الله عنه فيكره لأحد أن يأتسي به لئلا يقتله السم.

٢- أنه قد يكون هناك عهدٌ لخالد من النبي صلى الله عليه وسلم ألا يؤذيه السم، وقد توكل خالد على الله تعالى في ذلك وشربه[2].

٣- ما ورد في بعض الروايات أنه إنما فعله لأجل أن يستسلم الأعداء له، حفاظاً على نفوس المسلمين وأموالهم.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ١٦٠).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٤٨).

الخاتمة

لقد تبين لك أخي بعد هذا كله؛ عِظَم منْزلة التوكل على الله تعالى، وأهميته.

وبينا لك أن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب، وإن عدم الأخذ بالأسباب لا يسمى توكلاً وإنما يسمى تواكلاً، وأن التواكل إنما هو صنيع البطالين والمتكاسلين.

وذكرنا لك حكم التوكل على الله، وشيئاً من المقامات التي أمر الله عباده فيها بالتوكل.

وعرضنا لك صوراً من قصص من توكل على الله حق توكله، وماذا كانت نتيجة هذا التوكل.

هذا بعض ما يسره الله في موضوع التوكل، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من المتوكلين عليه، وأن يجعلنا من الموحدين، وأن يجعلنا من الذين يقولون بالحق وبه يعدلون، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



اختبر فهمك

فيما يلي مستويان من الأسئلة حول الموضوع، أسئلة إجاباتها مباشرة، وهي أسئلة المستوى الأول.

وأسئلة تحتاج إلى بحث وتأمل وهي أسئلة المستوى الثاني.

أسئلة المستوى الأول (المباشرة)

١- كيف يكون التوكل نصف الدين؟

٢- اذكر تعريف الشيخ ابن عثيمين رحمه الله للتوكل.

٣- اذكر أمثلة لاتخاذ النبي ﷺ للأسباب.

٤- لماذا أمر الله مريم عليها السلام أن تهز جذع النخل، ولم يُساقط عليها الرطب بدون أن تهزه؟.

٥- ما هو دعاء الخروج من المنزل الذي فيه ذكر التوكل على الله؟.

٦- التوكل يجمع بين علم القلب وعمله. اشرح هذه العبارة.

٧- كيف تكون غنياً بالتوكل؟.

٨- ما رأيك في رجل فقد عمله فبكى من خشية الفقر، هل يسمى متوكلاً؟. ولماذا؟.

٩- ما الفرق بين التوكل والتواكل؟.

١٠- ما حكم التوكل؟ اذكر ذلك بالتفصيل.

أسئلة المستوى الثاني (الاستنباطية)

١- متى تتوكل على الله فقط، ومتى تجمع بين الاستعانة والتوكل في المقامات التالية؟

أ- أثناء إجابتك عن أسئلة الامتحان الدراسي.

ب- عند انتظار ظهور نتائج الامتحان.

ج- عند نقلك أغراض المنزل من السيارة إلى البيت.

د- أثناء انتظار الرد على طلب توظيفك.

٢- التوكل من صفات الأنبياء، كيف يستفيد الداعية من هذا؟.

٣- ما رأيك فيمن يترك مفاتيح سيارته فيها، ويترك أبواب

السيارة مفتوحة، ويقول: أنا متوكلٌ على الله في عدم سرقة السيارة!.

٤- ما رأيك في الصور التالية:

أ- رجل سمع بحدوث زلزال في أقاصي الدنيا فلم يخرج من بيته ذلك اليوم.

ب- شخصٌ يريد أن يقدم على وظيفة، فنظر في باب (برجك اليوم) في إحدى الصحف؛ ليختار اليوم الذي يُقدم فيه على الوظيفة.

ج- شخص خرج من منزله فوجد المصعد معطلاً، فرجع إلى منزله، خوفاً من حصول مصيبة له في ذلك اليوم.

٥- (وإياك نستعين) ما الذي يُفهم من تقديم المفعول به على الفعل في هذه الآية؟.

٦- قال ﷺ: «**الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**» اشرح الحديث.

٧- (فأصبح في المدينة خائفاً يترقب) هل خوف موسى ينافي التوكل؟.

المحتويات